مجلة الدراسات التربوية والعلمية - كلية التربية - الجامعة العراقية
العدد الرابع والعشرون - المجلد السادس - اللغة العربية - كانون أول 2024 م
doi.org/10.52866/esj.2024.06.24.09

المقام وأثره في انتقاء الوجه النحوي
دراسة تطبيقية في آيات مختارة من القرآن الكريم

أ.م.د. طالب فرحان سعود

مستخلص:

يهدف البحث الى الكشف عن دراسة المقام وأثره في انتقاء الوجه النحوي، إذ يسلط البحث الضوء على نماذج من الآيات القرآنية الكريمة مبيناً دور المقام في انتقاء الوجه النحوي وتأدية المعنى المراد منه، وذلك من خلال الاعتماد على قرائن السياق، سواء كان هذا المقام ما يُستدل عليه من السياق الداخلي للنص، أو السياق الخارجي، وهذا الأمر يُعلم بالتتبع والاستقراء لآيات القرآن الكريم، بما يرشد الباحث إلى ضرورة الوعي بهذا التنوع المقامي والمقصدي، وإلى ضرورة التمييز بين كلّ مقام ومقام.

كلمات المفتاحية: المقام، السياق، القرآن الكريم، الأثر، الوجه النحوي.

The position and its effect on choosing the grammatical face
An applied study on selected verses from the Holy Quran

A.D. Talib Farhan Saud

Abstract :

The research aims to reveal the study of the maqam and its effect on selecting the grammatical face. The research sheds light on examples of the Noble Qur`anic verses، indicating the role of the maqam in selecting the grammatical face and conveying the intended meaning, by relying on context clues, whether this maqam is what is inferred from it. The internal context of the text, or the external context, and this matter is informed by tracing and extrapolating the verses of the Holy Qur'an, which guides the researcher to the need to be aware of this diversity of status and purpose, and to the need to distinguish Between every station and another.

Keywords: Maqam - context , Holy Quran , impact ,grammatical face...

المقدمة :

يُعدُّ مفهوم (المقام) من المفاهيم الاساسية في علم اللغة؛ لأنه يرتبط بدراسة السياق ودلالات الكلام. فإذا كان السياق يتعلّق بالبنية الداخلية للتركيب، فإنَّ المقام يتعلق بالمساقات والمؤثرات الّتي أوجدت التركيب، فالمقام أشبه بالسياق العام؛ الذي يُقال فيه الكلام، بما يشمل الظروف المحيطة بالمتكلم، والمستمع، وموضوع الحديث، ومواضع استخدام الالفاظ والمعاني.

وبالنسبة للغة العربية وبخاصة في دراسة النحو، فإن المقام يلعب دوراً هاماً في توجيه الدلالة اللغوية، بحيث يؤثر على انتقاء الوجه النحوي الذي يُناسب المعنى المراد من الكلام، إذ تنبع أهمية المقام في النحو العربي من أنه يوفر للقارئ أو المستمع إطاراً يساعد في فهم المعاني بشكل أعمق، إذ إنَّ الوجه النحوي لا يحدد فقط بالقواعد الجامدة، بل يتأثر بمحيط الكلام وغاياته.

وقد برزت هذه الفكرة في علوم التفسير والبلاغة، حيث يظهر أثر المقام بشكل واضح في القران الكريم، فكل لفظ فيه مختار بعناية ليؤدي معنى معيناً، ويأتي في سياق خاص يتناسب مع الموضوع والغرض الذي تتناوله الآية. ونتيجة لذلك، تختلف الأوجه النحوية التي يُحتمل استخدامها تبعا للمقام والسياق.

وأوجه النحو العربي كثيرة، فمنها ما يجلبه العامل من الحركات الاعرابية فتظهر على الحرف الأخير من الكلمة، كالرفع والنصب والجر، ومنها ما هو متعلق بالتراكيب النحوية، كالتعريف والتنكير، والتقديم والتأخير، والذكر والحذف،... الخ من الأوجه النحوية، التي كان للمقام دوراً فاعلاً في انتقاءها مراعاةً مع غيرها .

وسأورد في هذا البحث إن شاء الله نماذجا من هذه الأوجه بعد بيان أهمية البحث، ومنهجه :

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في بيان دراسة أثر المقام في انتقاء الوجه النحوي، ودور ذلك في فهم النصوص، أو النص القرآني الذي يمتاز بثراء لغوي وتراكيب نحوية دقيقة، حيث يأتي كل لفظ وتعبير بتوجيه نحوي مدروس يتماشى مع السياق والمقام الذي يرد فيه، إذ تنبع أهمية المقام في النحو العربي من أنه يوفر للقارئ أو المستمع إطاراً يساعد في فهم المعاني بشكل أعمق، إذ إن الوجه النحوي لا يحدد فقط بالقواعد الجامدة، بل يتأثر بمحيط الكلام وغاياته وملابساته .

منهج البحث:

اعتمدت في كتابة البحث على المنهج الوصفي الاستقرائي، والمنهج التحليلي، إذْ تمثل المنهج الاستقرائي بقراءة وتتبع نماذج من الآيات القرآنية التي احتملت وجهاً نحويا أو أكثر من منظور القواعد النحوية المنصوص عليها في كتب النحاة، وتمثل المنهج التحليلي بالنظر الى هذا الوجه النحوي من مرآة أوسع وهو المقام، آخذين بعين الاعتبار ظروف ومجريات ذلك المقام وقرائنه، وتمثل المنهج بالآتي:

1. ذكر الوجه النحوي .
2. ذكر الآية الكريمة التي ورد فيها الوجه .
3. ذكر آراء النحاة في تعدد هذا الوجه .
4. بيان أثر المقام في انتقاء هذا الوجه دون غيره .

أولاً: المقام لغة:

المقام في اللغة مأخوذ من الجذر(ق- و-م)، ويطلق على الموضع الذي يقف فيه الشخص أو حالته ومكانته، قال ابن فارس: ((القاف والواو والميم) أصل يدل على جماعة منها القيام، ويقال مقام المرء موضعه)[1].

فأصل الكلمة مشتق من الفعل (قام) ويعني الوقوف والإقامة. قال ابن منظور: (يعني الجلوس والقيام والمقام. والمقامة: الموضع الذي تقيم فيه. والقوام: العدل وحسن الطول والقوائم: مقابض السيوف) [2].

ويعني المقام: الموقف، والجماعة من الناس، والدرجة الرفيعة والمنزلة، ومن الدعاء المأثور: وابعثه اللهم المقام المحمود الذي وعدته[3].

ومما نلاحظ أن المعطى المعجمي لدلالة المقام متعددة بين الجلوس، والموضوع والعدل، ومقابض السيوف، والمنزلة الرفيعة.

وفي القرآن الكريم: ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة: 125]، وقوله تعالى: ﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ ﴾ [آل عمران: 97]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ ﴾ [الأحزاب: 13]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ ﴾ [الصافات: 164]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ﴾ [الدخان: 51]، وقوله تعالى: ﴿ وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾[الرحمن: 46]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴾ [النازعات: 40].

ثانياً: المقام اصطلاحاً:

على الرغم من اهتمام العلماء بالمقام وتوظيفه في العديد من المجالات؛ باعتباره وسيلة فاعلة لكشف الغموض الذي قد يعتري النصوص، إلاّ أننا لم نجد تعريفاً محدداً له عند أهل العلم في الدراسات القديمة وربما هذا يعود الى عدم النظر للمقام كعلم قائم بذاته ينبغي أن يؤسس له، أما في الدراسات الحديثة فقد تم تناول المقام لبيان الدلالة والكشف عن المعنى[4].

فإذا أردنا أن نحدد مفهوم المقام تحديداً دقيقاً ينبغي أن نحدد مفهوم السياق؛ وذلك لأنهما يسيران في خطين متلازمين في تحديد المعنى أو الحكم، فإنه إذا كان مفهوم السياق يتناول البيئة اللغوية الداخلية للكلمة أو العبارة داخل النص، فيمكننا القول أن المقام هو السياق الذي يشمل الظروف الخارجية المتعلقة بالكلام أو النص، ويؤثر في اختيار الألفاظ والتراكيب النحوية والبلاغية لتحقيق الغرض المقصود، ويستعمل في البلاغة وأصول الفقه للإشارة إلى موضع الخطاب وظروفه. فالمقام يقتضي من المتكلم أن يختار من الكلام ما يناسبه ليطابق الحال، مع وضوح الدلالة[5].

فالمقام يعنون به ما يصاحب النص من أحوال وعوامل خارجية لها أثر في فهمه: كحال المتكلم، والمخاطب، والغرض الذي سيق له... إلخ، ولعل أقرب تعريف يشمل هذه العوامل قولهم عن المقام:(هو ما يحيط بالنص من عوامل داخلية أو خارجية لها أثر في فهمه من سابق أو لاحق أو حال المخاطب والغرض الذي سيق له والجو الذي نزل

(1) مقاييس اللغة:43/ 5 (قوم) .
(2) لسان العرب ابن منظور: 24/ 12.
(3) ينظر: المعجم الوسيط ،ابراهيم مصطفى واخرون: 1379.
(4) ينظر: التأويل اللغوي في القرآن الكريم دراسة دلالية حسين حامد صالح:127.
(5) ينظر: مفتاح العلوم للسكاكي:162 ، والتعريفات، الشريف الجرجاني:156 .

فيه، وأسباب النزول)[1].

المقام وأثره في انتقاء الوجه النحوي دراسة تطبيقية في آيات مختارة من القرآن الكريم

أثر المقام في انتقاء وجه التعريف والتنكير:(بلد) (البلد)

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾ [البقرة: 126] .

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾ [إبراهيم: 35] .

التعريف والتنكير من الظواهر النحوية في اللغة العربية، وهما مشاركان في بناء الجملة، من الناحية التركيبية والدلالية، فالمعرفة لها دلالة معينة، والنكرة لها دلالة معينة، وقد تناول النحويون ظاهرة المعرفةَ والنكرةَ في كتبهم ودراساتهم، وذكروا أقْسام المعارف، كالضّمير، والعلم، والاسم الموصول، واسم الإشارة، والمُعرّف بـ (أل)، وغيرها، وكان حديثُهم من الناحية الإعرابية المحضة[2].

ففي الآيتين الكريمتين ورد لفظ (بلد) نكرة في سورة البقرة، ومعرفة في سورة ابراهيم على لسان سيدنا ابراهيم عليه السلام، وقد لفت هذا التعريف والتنكير نظر النحويين المفسرين ، فأشار النحويون إلى الفرق بين دلالة اللفظ في الآيتين من حيث الإعراب، فذكروا أنه في حال تعريف (البلد) يكون بدلاً من اسم الاشارة هذا، أو صفة للمفعول الأول (هذا) وفي حالة تنكيره يكون مفعولاً ثانياً، على أن الفعل (اجْعَلْ: بِمَعْنَى صَيِّرْ)، فاسم الاشارة (هذا) المفعول الأول، و(بلداً) المفعول الثاني[3].

وتباينت آراء المفسرين في توجيه موطني التعريف والتنكير، إذ ذكر الرازي أوجهاً منها: (الأول: أن الدعوة الأولى وقعت ولم يكن المكان قد جعل بلداً، كأنه قال: اجعل هذا الوادي بلداً آمناً، الثاني: أن تكون الدعوتان وقعتا بعد ما صار المكان بلداً آمناً)[4]، وقال الزمخشري: (قد سأل في الأوّل أن يجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها ولا يخافون، وفي الثاني أن يخرجه من صفة كان عليها من الخوف إلى ضدها من الأمن، كأنه قال: هو بلد مخوف، فاجعله آمناً)[4].

ويتجلى المعنى بصورة أدق بين الدلالتين النحويتين من خلال ربط كل آية بسياقها، ثم النظر في المقام الذي يشمل الزمان، والمكان، وأسباب النزول، ومجريات الكلام وملابساته التي دارت بين ثلاثة نفر: (رجل، وامرأته، وطفل رضيع). فالتنكير نابع من مكان مُقفرٍ، مظلم، ساكنٍ، لكنه فعَّال يحمل خصائص وصفات ساكنيه؛ فهناك حالة تلاحم صميمي في قصة هاجر وطفلها الرضيع، حينما قرر إبراهيم عليه السلام أن يتركهما في مكان قفر موحش، في أرض لا ماء ولا أنيس فيها[5]، مع رزق بسيط كما وصفه النبي ﷺ: ((جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ فتبعتهُ أُمُّ إسماعيل وهي تنادي يَا إِبْرَاهِيمُ أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ، وَلاَ شَيْءٌ))[6]، وكلمة(لا شيء) نكرة في سياق

(1) السياق القرآني وأثره في التفسير: 124.

(2) ينظر: شرح ابن عقيل:95/ 1 .

(3) ينظر: التبيان في اعراب القرآن للعكبري:113/ 1، وإعراب القرآن وبيانه، درويش:198/ 5.

(4)مفاتيح الغيب:49/ 4 .

(4) الكشاف:523/ 2. وانظر: ملاك التأويل:50/ 1 ، وكشف المعاني:105 .

(5) ينظر: بحثنا: (جماليات الاضمار في صحيح القصص النبوي- مجلة الدراسات المستدامة/ المجلد الثالث/ العدد الثاني، ص:214) .

(6) صحيح البخاري:173/ 4 رقم الحديث (3364)

معدوم فيه كل أسباب الحياة، ناهيك عن دلالة (الإنس)؛ فتنكير: (**بَلَداً**) موافقاً لمجريات المقام، المتمثلة بسعة المكان ووحشته، وغربته، وتعريف: (**البَلَدَ**) إشارة إلى البقعة الصغيرة فيما بعد؛ لأن التنكير كان سببا للتعريف فيما بعد، كما سنلحظ في سؤالها المشفوع بالحزن والتوسل إذ قالت له: ((آللهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ فقال: نعم)). فقالت قولتها المدوية التي لم تبددها أفياء الصحراء:((إِذًا لاَ يُضَيِّعُنَا))، وهذا من عظم توكلها، وفجأة يشهد المكان تحولا لا نظر له من العدم إلى الحياة، ومن الوحشة إلى الانس، فتبصر ماء فدنت منه وأخذت تزمه بشغف- أي تجمعه وتحوط له بقولها:(زم .زم .زم)، محدثة نفسها مخافة أن ينقطع، وقد صور النبي ﷺ هذا الخوف فقال:((**يَرْحَمُ اللهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ، لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا**))[1].

فالذي نلاحظه من الدلالتين أن التنكير هو الأول، والتعريف هو الثاني، وهذا مقام موافق لقواعد اللغة، قال سيبويه: (واعلم أنّ النكرة أخفُّ عليهم من المعرفة، وهي أشّدُّ تمكّناً؛ لأن النكرة أوّل، ثمّ يدخل عليها ما تُعرّف به، فمن ثَمّ أكثرُ الكلام ينصرفُ إلى النكرة)[2]، أي أنّ النكرة تأتي أوّلاً، ثم تأتي المعرفة بعدها، وبحثَ الجرجاني مسألة التعريف والتنكير، ويكادُ أن يعدّ المخاطب الركيزة الأساسية فيهما، وإن كان هذا لا ينفي وجود المتكلم – أي سيدنا إبراهيم عليه السلام باعتبار المتكلّم هو المصدر والخالق[3]، إلا تراه قول إبراهيم عليه السلام عندما عرف(البلد) دعا ربه متوسلا ومشفوعا بالعمل الذي قدمه وهو امتثاله لأمر الله حين دعاه: ﴿ **رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٖ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ** ﴾ فعبارة غير ذي زرع فيها دلالةٌ واضحةٌ على وحشة المكان الذي تركهم فيه، وهي ملائمةٌ لمقام التنكير، وقد علل سيدنا إبراهيم الغاية الشرعية من هذا السكن بقوله:﴿ **رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ** ﴾، ثم ختم السياق بقوله: ﴿ **فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ** ﴾ [إبراهيم: 37]، ومعنى تهوي إليهم: تأتي وتنزع إليهم وتريدهم[4]، ولم يتحقق هذا الإتيان إلا بعد ظهور الماء وهو أول أسباب تعريف المكان ونمو الحياة فيه.

أثر **المقام في انتقاء وجه الذكر والحذف:(تك) (تكن)**

قال تعالى:﴿ **وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ** ﴾ [النحل: 127] .

قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ** ﴾ [النمل: 70] .

حذفت نون الفعل (تك) في آية النحل، وذكرت في آية النمل، والفعلان (**تَكُ**) و(**تَكُن**) فعلان مضارعان مجزومان بـ(لا)، وعلامة جزمهما السكون، فالفعل(**تَكُن**) مجزوم بالسكون الظاهرة على النون، والفعل (**تَكُ**) مجزوم بالسكون المقدر على النون المحذوفة للتخفيف كما بين ذلك علماء النحو[5].

المخَاطب في الآيتين شخص واحد، هو النبي ﷺ، وقد نهاه الله تعالى عن الحزن وعدم ضيق الصدر، لكن السؤال لِمَ حذف نون الفعل (**تَكُ**) في آية (النحل) وأثبتها في آية (النمل) ؟ ولم أجدُ جوابا يكشف سرَّ ذلك إلا من خلال العودة إلى

حسب ترقيم فتح الباري .

(1) صحيح البخاري : 4/ 173، رقم الحديث (3364) حسب ترقيم فتح الباري .

(2) الكتاب: 1/ 22 .

(3) ينظر: الكشاف:1/ 136 .

(4) ينظر: جامع البيان:11/ 451، وروح المعاني:7/ 225 .

(5) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: 2/ 810، وإعراب القرآن وبيانه:5/ 386 .

مقام الآيتين، وهو مقام متعلق بأسباب النزول أولاً، فالقرآن الكريم قد راعى كل مقامات الكلام، ومنها مقام المُخَاطب، وأبلغ ما يكون في ذلك مراعاة الجانب النفسي للمخاطب، فقد يحذف التعبير القرآني حركةً أو حرفاً أو كلمة مراعاة لمجريات المقام[1]، ومن ذلك الحذف أنه يراعي الجانب النفسي للمُخاطب، فحذفُ الحرف من الفعل (تَكُ) فيه دلالةٌ نفسية على حذف الضيق من الصدر.

فآية النحل نزلت بعد معركة أحد، حين قُتل (الحمزة بن عبد المطلب) عمُّ النبي ﷺ، وقد حزُن حزنًا شديدًا ﷺ عندما رأى عمه مقتُولًا مُمَثَّلاً به، وما أصاب المسلمين من أذى في ذلك الموقف، فقال ﷺ: ((لن أُصابَ بمثلكَ أبدًا! ما وقفتُ موقفًا قطُّ أغيظَ إليَّ من هذا))[2]، وقال ﷺ: ((أما والذي أحلف به لأن أظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين مكانك))[3]، فأنزل الله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾[النحل: 126 – 127]، مواساةً له ﷺ[4]، فحذف النون من الفعل إشارة إلى ضرورة حذف الضيق من الصدر وتهوينه على النفس، وهذا على ما يبدو تطييب لنفس النبي ﷺ يتناسب مع ضخامة الأمر ومقام الحزن الذي حلَّ به ﷺ[5]، وهو عكس مقام (النمل) الذي لم تحذف منه النون؛ لأن مقام النمل إنما نزل عندما استهزأ المشركون بدعوة النبي ﷺ لهم، وكان الموقف أخفُّ على الجانب النفسي مقارنة بمقام النحل، قال الكرماني: ((إن هذه الآية نزلت تَسْلِيَةً للنَّبي ﷺ حِين قُتلَ عَمه حمزة وَمثل به فقال عليه الصَّلَاة والسَّلام لَأَفْعَلَنَّ بهم ولأصنعن فَأنْزل الله تَعَالَى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾، فَبَالغ فِي الحَذف ليَكُون ذلك مُبَالغَة فِي التسلي وَجَاء فِي النَّمل على القيَاس؛ لأَن الحزن هُنا دون الحزن هُنَاك))[6].

وقد تتبعت الآيات المشابهة لهذه الآية فلم أجد آيةً قد حُذف منها (نون) الفعل (تكن) إلا آية (النحل)، وما ذلك إلا مراعاة لمقام المخاطب ونفسيته، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾[النساء: 105]، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾[الأعراف:205]، و قال تعالى: ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[هود:42]، وقال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾[القلم: 48].

أثر المقام في إضافة (إذا) لما بعدها:

قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾[الانشقاق:1]، وقال: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾[الانفطار:1].

قال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾[الرحمن: 37]، قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾[الزلزلة:1].

وردت (إذا) في القرآن الكريم مضافة مرة إلى الاسم، وأخرى إلى الفعل، وإن إضافة (إذا) لما بعدها من مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين،

(1) ينظر: التعبير القرآني: 93 .
(2) سنن الدار قطني:207/ 5 .
(3) سنن الدار قطني:207/ 5 .
(4) أسباب النزول النيسابوري:283/ 1 .
(5) ينظر: ابن كثير:527/ 4 .
(6) البرهان :163 .

فالكوفيون يرون أنها أسم يضاف إلى الجملة الاسمية، والفعلية، فإذا أضيفت إلى الاسم يعربونها إما فاعل مقدم، أو مبتدأ خبره الجملة[1].

أما البصريون فيعدونها اسماً ملازماً للإضافةِ إلى الجمل الفعلية فقط، ولا تضاف إلى الجمل الاسمية، وإذا تلاها اسم مقدم على الفعل، فتأويل هذا عندهم هو من باب حذف فعل الشرط، الذي يفسره الفعل المذكور بعده، والتقدير : (إذا انفطرت السماء انفطرت)[2].

وهذا تقدير نحويٌ لا غبار عليه من حيث أصول القواعد النحوية عند الفريقين، لكنه قد لا يسلط الضوء على المعنى برمته، فإذا نظرنا إلى هذه القواعد من زاوية المقام فإننا نلحظ ملحظاً آخر في (إذا)، وهو أنه يجوز أن يليها الاسم أو الفعل من حيث التقديم أو التأخير بينهما، وهذا التقديم والتأخير متعلق بمقام (الحدث) المراد بيانه بعد (إذا)، وهو في الغالب مقام (تخويف وتهويل)، لكنه قد يكون واقعاً مشاهداً للعيان أو غير واقع بعد.

فإذا كان الحدث واقِعاً مشاهَداً للعيان تلاها الفعل، وإذا كان الحدث غير واقع ولم يشاهد العيان تلاها الاسم، والفعل يدل على التجدد والحدوث، والاسم يدل على الثبوت، ودلالة الاسم أقوى من دلالة الفعل.

يقول الدكتور فاضل السامرائي:(إنّ تقدير الجمهور بعيد عن المعنى، مفسد لصحة الكلام، مؤد إلى ركة بالغة فيه)[3]؛ وقال: ((ألا ترى أنه قال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة:1] ، فلم يقدم الاسم؛ وذلك لأن مشهد الزلازل واقع متكرر على الأعوام والأيام، بخلاف المشاهد التي ذكرها، فإنه لم يحدث أنْ انشقت السماء، أو انفطرت، أو انتشرت النجوم أو تفجرت البحار، فالهول والفزع ههنا أكبر، فقدَّم ما قدَّم للتهويل))[4].

فسياق هذه الآيات مبنيٌ على مراعاة مواطن التهويل؛ فانشقاق السماء، أو انفطارها، وتفجير البحار، وبعثرة القبور كل ذلك مما يؤدي إلى الهول الكبير والرعب، فقدمها لهذا الغرض وجاء بها بالاسم بدلا من الفعل؛ لأن ما عبرَّ عنه القرآن بالاسم ولم يقع بعد كان أشدُ هولاً وأفظع مقاماً؛ لأن ثبوت الدلالة بالاسم كأنها واقعة لا محال لها .

أثر المقام في انتقاء جمع القلة والكثرة: (سنابل- سنبلات)

قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 261].

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾[يوسف: 43] .

قال تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ [يوسف: 47] .

جاء جَمعُ (سنبلة) في القرآن الكريم على ثلاث صيغ، هي: (سنابل وسنبلات وسنبل)، وقد جاءت في مواضع ثلاثة مناسبة للسياق الذي وردت فيه ،ولا يهمنا اختلاف شكل الجمع بقدر ما يهمنا فهم السبب الذي استخدم القرآن فيه هذه الصيغ المختلفة، لأن فهمنا للسبب يقربنا من فهم المعاني

(1) ينظر: الإنصاف:38/ 1، المسالة الخامسة.
(2) ينظر: المقتضب: 348/ 4، وشرح الرضي على الكافية:174/ 3، وهمع الهوامع:178/ 2 .
(3) معاني النحو:87/ 4 .
(4) معاني النحو:89-88/ 4 .

والأوجه النحوية المرتبطة بالمقام. فالفرق بينهما، هو أن السنابل جمع عام لنوع من أنواع الحبوب، أما سنبلات فهو جمع خاص لعدد من سنبلات مقصودة لذاتها ولعينها، من هنا جاء الاختلاف بين الجمعين .

ومن هنا اختلف تمييز العدد (سبع) في الآيتين بين الكثرة والقلة، إذْ استعمل معه (سنبلات) في سورة البقرة، و(سنابل) في سورة يوسف. والمتأمل يجد أن القرآن الكريم استعمل كل لفظة في مقامها. فالمقام في البقرة هو في سياق الحديث عن الأموال التي ينفقها المؤمنون في سبيل الله، وكيف أن الله يضاعف لهم الأجر والثواب، فتشير السبع سنابل هنا إلى بركة المال وتكاثره نتيجةً للإنفاق في سبيل الله، إذ تدرج المقام من (حبة) واحدة تنبتُ (سبع) سنابل، وفي كل سنبلة(مائة) حبة ثم إلى (سبعمائة) حبة، ثم ختم المقام بقوله: ﴿ والله واسع عليم ﴾ بـ(المضاعفة) الواسعة التي لا يعلمها إلا الله تعالى.

أما المقام في سورة يوسف فهو مبنيٌ على القلة، وهو في سياق رؤية الملك، حيث راى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف، وسبع سنبلات خضر وأخرى يابسات، وهذه رؤيا رمزية تشير إلى سنوات من الخصب تتبعها سنوات من الجفاف، وهذا يدل على ضرورة الاستعداد لكلا الحالتين الخصب والجفاف، وما يؤيد ذلك قوله تعالى الذي ختم به السياق : ﴿ **قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ** ﴾ [يوسف: 47]، فقد جاءت فيه لفظة سنبله لتفيد معنى التنويع مع تخصيص أنواع السنابل المختلفة، بمعنى أن تتركوا كل جنس من الحب المحصود في سنبله الخاص به، فالقمح يترك في سنبله والشعير يترك في سنبله وهكذا، وهو بعكس مقام البقرة الذي لا يدل إلا على البركة والزيادة والخير الذي ينتج عن الإنفاق في سبيل الله.

قال الغرناطي: (فللسائل أن يسأل عن الفرق الموجب لتخصيص كل من الموضعين بما ورد فيه. والجواب: أن آية البقرة مبنية على ما أعد الله للمنفق في سبيله وما يضاعف له من أجر إنفاقه وان ذلك ينتهى إلى سبعمائة ضعف...أما آية يوسف فإنما بناؤها على إخبار الملك عن رؤياه سبع سنبلات فلا طريق هنا لِلَحظِ كثرة ولا قلة لأنه إخبار برؤيا) [1].

ويذكر الدكتور فاضل السامرائي: أن الآية الأولى سيقت في مقام التكثير ومضاعفة الأجور فجيء بها على سنابل لبيان التكثير. وأما قوله: سبع سنبلات فجاء بها على لفظ القلة لأن السبعة قليلةً ولا مقتضى للتكثير. فجاء لكل موضع بما يقتضيه السياق [2].

أثر المقام في رفعُ ما حقّه النصب:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ﴾ [هود: 69] .

إنَّ نصب الاسم بعد فعل القول هو من القواعد النحوية الثابتة، كما جاء في كتب النحاة، وهذا النصب عندهم لا يخرج عن أحد وجهين: الأول: يكون النصب بالعامل (قال)، والثاني: النصب على المصدر.

قال أبو عبيدة: (وله موضعان: موضع حكاية، وموضع آخر يعمل فيما بعده فينصب، فجاء قوله: قالوا سلاما، منصوبا لأن قالوا: عمل فيه فنصب، وجاء قوله «سلام» مرفوعا على الحكاية، ولم يعمل فيه فينصبه)[3].

(1) ملاك التأويل:70/ 1 .

(2) ينظر: معاني النحو:263/ 3، والتعبير القرآني: مقدمة الكتاب .

(3) مجاز القرآن:291 .

وقال النحاس: (قالُوا سَلاماً في نصبه وجهان: يكون مصدرا، والوجه الآخر أن يكون منصوبا بقالوا كما يقال: قالوا خيرا، أي قالُوا سَلاماً، قالَ سَلامٌ في رفعه وجهان: أحدهما على إضمار مبتدأ أي هو سلام وأمري سلام، والآخر بمعنى سلام عليكم)[1].

فرفع (سلام) إبراهيم عند النحاة أما على إضمار مبتدأ أو هو مبتدأ، والعامل في رفع المبتدأ عند النحاة من مسائل الخلاف بين النحاة البصريين والكوفيين، فذهب الكوفيون إلى أن المبتدأ يرفع الخبر، والخبر يرفع المبتدأ؛ فهما يترافعان، وحجتهم في ذلك؛ أن المبتدأ لا بدّ له من خبر، والخبر لا بدّ له من مبتدأ، ولا ينفك أحدهما من صاحبه[2].

وذهب البصريون إلى أن المبتدأ يرتفع بالابتداء، وأما الخبر فاختلفوا فيه، وحجتهم في الابتداء هو التعري من العوامل اللفظية؛ لأن العوامل في هذه الصناعة ليست مؤثرة حسية كالإحراق للنار والإغراق للماء والقطع للسيف، وإنما هي أمارات ودلالات[3].

وإذا عُدنا للآية الكريمة فالمتأمل يلحظ أن للمقام لمسة في هذا الوجه النحوي، فإذا كان (سلام) إبراهيم مرتفع بالابتداء فرفع المبتدأ عند النحاة أكرم وجهاً من النصب أو الجر، إذا تجرد من العوامل اللفظية، وإذا ربطنا هذا الرفع بـ(مقام) الآية من الوجهة الاجتماعية، التي تتمثل برسل أجلاء حلّو ضيوفاً عند رجل أكرم ما يكون في زمانه، فأكرمهم وبالغ في إكرامهم، قال تعالى: ﴿ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ ، وأصله (محنوذ)، ومعنى (المحنوذ): المشويّ، وقد صُرف من (مفعول) إلى (فعيل)[4]. وصيغة فعيل أشدُّ مبالغة من مفعول وفي ذلك دلالة على حفاوته كرمه عليه السلام.

والكرم صفة اجتماعية جُبل عليها الانبياء على وجه العموم، وخُصَّ بها سيدنا إبراهيم، وقد امتدح القرآن والسنة أهل هذه الصفة، وعدّها النبي ﷺ من الايمان، قال عليه الصلاة والسلام: ((من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه))[5]، والكريم يخاف من حفاوة ضيفه عند الطعام، فكلما قدم من إكرام تبقى نفسه الطيبة خائفة مجبلة على الزيادة، وقرينة (الخوف) الموجودة في الآية هي قرينة لفظية لها مساس كبير في مقام الضيافة عند سيدنا ابراهيم من حيث الوجهة الاجتماعية. قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ [هود: 70]، فالخوف مقام متعلق بالضيافة. فرفع(السلام) أمرٌ يتجلى بتأثير المقام؛ قال سيبويه: (واعلم أنَّ من العرب من يَرفع سلاما إذا أراد معنى المبارأةِ، كما رفعوا حَنانٌ)[6]، والرَّفْع في اللُّغة: العلوُّ والارتفاع. وفي الاصطلاح: تغيُّر مخصوص، علامتُه الضمَّة[7].

كما أن رفع السلام أمر ثابت عند سيدنا إبراهيم، وليس متجدد، قال الزمخشري: (رفع السلام الثاني للدلالة على ان إبراهيم عليه السلام حياهم بتحية أحسن من تحيتهم لأن الرفع دال على معنى ثبات السلام لهم دون تجدده وحدوثه)[8]، وقال الزركشي: (وهذه العبارة مؤذنة بحدوث التسليم منهم إذ الفعل تأخر عن وجود الفاعل بخلاف سلام ابراهيم فانه مرتفع بالابتداء فاقتضى

(1) اعراب القرآن للنحاس: 175/ 2.
(2) الانصاف: 38/ 1، المسألة الخامسة.
(3) الانصاف: 39/ 1، المسألة الخامسة.
(4) تفسير الطبري: 383/ 15 .
(5) صحيح البخاري: 13/ 8 .
(6) الكتاب: 325/ 1 .
(7) التحفة السنية شرح المقدمة الآجرومية: 17 .
(8) الكشاف: 52/ 1 .

الثبوت على الإطلاق) [1].

وإذا قارنا هذه الآية مع المواطن التي مرَّ بها سيدنا ابراهيم عليه السلام في القرآن الكريم وجدنها كلها مقامات ابتلاء ورفع تتماشى مع رفع (سلامه) من حيث الوجهة الاجتماعية، ومقارنة الآية مع سابقاتها ولاحقاتها أمر لا بد منه؛ لأنه لا بد في استنباط الحكم أو الوجه أن تراعى مواطن المقال مع المقام. ويحتّم الأصوليون على مَنْ يتصدَّى لاستخراج الأحكام من القرآن أمورًا لا ينبغي أن يغفل عنها، هي في الواقع (مقام) للفهم، فعليه مثلًا:

1. ألّا يغفل عن بعضه في تفسير بعضه.
2. ألّا يغفل عن السنة في تفسيره.
3. أن يعرف أسباب نزول الآيات.
4. أن يعرف النظم الاجتماعية عند العرب.

فهذه العناصر الأربعة يمكن اختصارها في كلمة المقام[2]، فلا ينبغي لمن يتصدَّى لتفسر آية أن يغفل عن مقامها، يقول الدكتور فاضل السامرائي: (إنه لا يَصحُّ اقتطاعُ جزء من آية أو جزء من السياق، وبناءُ الحكم عليه، بل الذي ينبغي هو أن يُنظرَ في السياقِ كلِه، ثم ينظر في ملاءمة الكلام بعضه لبعض)[3]، وقال في موطن آخر: (لا يصح اقتطاع جزء من الآية للاستدلال، بل ينبغي النظرُ في الآية كلها وفي السياق أيضاً ليصحَّ الاستدلالُ والحكم) [4]. ويقول صاحب أصول التشريع الإسلامي: ((فإذا غفل عن بعضه لم يسلم استنباطه من الزلل، وتعرض عمله للفساد، فلا ينبغي مثلًا أن يفسر قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَ ﴾ [المائدة: 51] مع الغفلة عن قوله تعالى: ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ ﴾ [الممتحنة: 8] ، ولا قوله تعالى: ﴿ وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ ﴾ [البقرة: 228] مع الغفلة عن قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ ﴾[الأحزاب: 49] ، ولا قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗا ﴾ [البقرة: 234] مع نسيان قوله تعالى: ﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ ﴾ [الطلاق: 4]، ولا قوله تعالى: ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا ﴾ [التوبة: 41] مع إهمال قوله تعالى: ﴿ لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ ﴾ [التوبة: 91]. فالآيات التي نهى عن الغفلة عنها من «مقام» فهم الآيات التي اقترنت بها وأريد تفسيرها والاستنباط منها)) [5].

ومن قبيل ذلك أيضًا أننا لو نظرنا إلى قوله تعالى:﴿ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ ﴾ [البقرة: 124]. وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ ﴾ [البقرة:125] .

وقال تعالى:﴿ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ ﴾ [البقرة:127] . وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ ﴾ [البقرة: 130] . وقال تعالى: ﴿ قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ [آل عمران: 95] . وقال تعالى: ﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ ﴾ [آل عمران: 97] . وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴾ [النساء: 125] . وقال تعالى: ﴿ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ ﴾ [الأنعام: 83] . وقال تعالى:﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ

(1) البرهان في علوم القرآن:71/ 4
(2) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها تمام حسان:
(3) لمسات بيانية :68 .
(4) لمسات بيانيه:96 .
(5) أصول التشريع الاسلامي، علي حسب الله:

﴿ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ [التوبة: 114] .

﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ [هود: 75] .

وقال تعالى:﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾[النحل: 120] . فالابتلاء، والاصطفاء، والاتخاذ، أرى أنها كلها مقامات رفع من حيث الوجهة الاجتماعية الدينية تتلاءم مع مقام رفع (السلام) في تحية إبراهيم عليه السلام للملائكة والله أعلم .

أثر المقام في انتفاء السبب بين الشرط والجواب :

قال تعالى: ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِۖ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَث ﴾[الأعراف:176]

معنى الشرط أن يقع الشيء لوقوع غيره، أي أن يتوقف الثاني على الأول، فإذا وقع الأول وقع الثاني[1]، وذلك نحو: (إن زرتني أكرمك). وفعل الشرط وجوابه مجزومان بأداة الشرط، لكن هناك خلاف بين الكوفيين والبصريين في جزم جواب الشرط.

فذهب الكوفيون إلى أن جواب الشرط مجزوم على الجِوَارِ، وحجتهم في ذلك ؛ لأن جواب الشرط مجاور لفعل الشرط، لازم له، لا يكاد ينفكُّ عنه، فلما كان منه بهذه المنزلة في الجوار حمل عليه في الجزم، فكان مجزوما على الجوار[2].

وذهب البصريون إلى أن العامل فيهما حرف الشرط، وحجتهم في ذلك؛ لأن حرف الشرط يقتضي جواب الشرط كما يقتضي فعل الشرط، وكما وجب أن يعمل في فعل الشرط فكذلك يجب أن يعمل في جواب الشرط[3].

(1)ينظر: المقتضب:2/ 46 .
(2) الإنصاف: 493/ 2، رقم المسألة(48) (عامل الجزم في جواب الشرط) .
(3) الإنصاف: 493/ 2، رقم المسألة(48) (عامل الجزم في جواب الشرط) .

معنى الشرط كما أسلفنا أن يقع الشيء لوقوع غيره، وأن يتوقف الثاني على الأول، فإذا وقع الأول وقع الثاني هذا هو الأصل، ولكن قد يخرج الشرط عن ذلك فلا يكون الثاني مسببا عن الأول، ولا متوقفًا عليه حتى وإن وافقه في الوجه النحوي، وذلك نحو قوله تعالى:﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِۖ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَث ﴾ [الأعراف:176] .

فلهث الكلب ليس متوقفًا على الحمل عليه، أو تركه، فهو يلهث على كل حال، وإنما ذكر صفته فقط، فلهثه مرتبطاً بقامه[4]، قال الرضي: (قد لا يكون مضمون الجزاء متعقبا لمضمون الشرط، بل يكون مقارنا له)[5]، وقال الزركشي:(اعلم أن المجازاة لا يجب فيها أن يكون الجزاء موقوفا على الشرط أبدًا، ولا أن يكون الشرط موقوفا على الجزاء أبدًا بحيث يمكن وجوده، ولا أن تكون نسبة الشرط دائما إلى الجزاء نسبة السبب إلى المسبب) [6].

الخاتمة:

بعد هذه الدراسة الموجزة عن أثر المقام في انتقاء الوجه النحوي لنماذج من الآيات القرآنية الكريمة يمكننا أن نلخص أهم النتائج الآتية:

1. وجود علاقة وثيقة بين المقام واختيار الوجه النحوي، فقد تبين أن المقام يلعب دوراً حاسماً في تحديد الوجه النحوي المناسب في سياق الجملة، وأن الاختيار النحوي لا يعتمد فقط على القواعد اللغوية الثابتة، بل يتأثر بمتطلبات المقام .
2. كشف البحث على وجود علاقة بين العوامل

(4) معاني النحو فاضل السامرائي:54/ 4
(5) شرح الرضي على الكافية:138/ 2 .
(6) البرهان:355/ 2 .

اللفظية والسياقية، ومن الضروري فهم تلك العلاقة؛ لأنها تؤثر في فهم بنية الجملة العربية، فالسياق اللغوي والاجتماعي يوجه المتكلم لاختيار التراكيب النحوية التي تتناسب مع الغرض البلاغي .

3. إن المقام في القرآن الكريم هي جملة المقاصد والمواقف والأساليب التي سيقت في الذكر الحكيم، ولابد من معرفة تلك المقاصد والمواقف؛ لأنها تساهم في فهم أعمق للبلاغة النحوية والعلاقة بين الشكل والمعنى .
4. يجب النظر مليا في المقام في سياق الخطاب سوابقه ولواحقه؛ لتحديد المقصود منه، فالنظرة الكلية للنص وما يحتف به من قرائن ضرورية لفهم مراد الشارع منها، وهذا لا يتوقف على فهم الآية وهي معزولة عن شبيهاتها .
5. معرفة المقام ضروري لإدراك مقصد الشارع من الخطاب الشرعي؛ كمعرفة مقامات الأمر، ومقامات النهي، ومقامات التعريف والتنكير... الخ .

المصادر والمراجع :

1. أسباب النزول: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، (ت468هـ)، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، الطبعة الثانية (1412هـ-1992م) .
2. أصول التشريع الاسلامي:علي حسب الله، دار المعارف مصر، الطبعة الخامسة(1396هـ-1976م) .
3. إعراب القرآن وبيانه: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش(ت1403هـ)، دار الإرشاد للشؤون الجامعية (حمص- سورية)،(دار اليمامة دمشق- بيروت)، (دار ابن كثير دمشق-بيروت)،الطبعةالرابعة(1415هـ).
4. إعراب القرآن: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت 338هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة: الأولى (1421هـ).
5. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: عبد الرحمن بن محمد، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (ت 577هـ)، المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى (1424ه- 2003م) .
6. البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت 794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى (1376هـ- 1957م) .
7. التأويل اللغوي في القرآن الكريم دراسة دلالية: حسين حامد صالح، الناشر: دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى (1426هـ) .

8. التبيان في إعراب القرآن: أبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت616هـ)، الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى(1399هـ- 1979م) .
9. التحفة السنية شرح المقدمة الآجرومية: محمد محيى الدين عبد الحميد .
التعبير القرآني: الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار ابن كثير، الطبعة الثانية (1437هـ - 2016م) .
10. التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت 816هـ)، تحقيق جماعة من العلماء، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان الطبعة: الأولى (1403هـ 1983-م) .
11. تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير(ت774هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى (1419هـ).
12. التفسير الكبير مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الملقب بفخر الدين الرازي (ت 606هـ)، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، الطبعة: الثالثة (1420هـ) .
13. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري (ت310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، موسوعة الرسالة، الطبعة الأولى (1420هـ - 2000م).
14. الجامع الصحيح : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت 256هـ)، الناشر: دار الشعب ، القاهرة، الطبعة: الأولى(1407هـ- 1987).
15. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسي(ت1270هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة الأولى(1415هـ) .
16. سنن الدار قطني: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي (ت 385هـ)، تحقيق: شعيب الارنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان الطبعة: الأولى (1424هـ - 2004 م) .
17. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ابن عقيل ، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني (ت769هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار مصر للطباعة، سعيد جودة وشركاه، الطبعة العشرون (1400هـ- 1980م).
18. شرح الرضي على الكافية: رضي الدين محمد بن الحسن الإستراباذي (ت686هـ)، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، سنة الطبع (1398هـ- 1978م) .
19. الكتاب: عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر، الملقب سيبويه (ت180هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة (1408هـ- 1988م) .
20. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت 538هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة (1407هـ) .
21. كشف المعاني في المتشابه من المثاني: بدر الدين أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم ابن جماعة الكناني (ت733هـ)، تحقيق: الدكتور عبد

جـواد خلـف، دار الوفـاء المنصـورة، الطبعـة الأولى (1410هـ - 1990م) .
22. لسـان العـرب: محمـد بـن مكـرم بـن عـلى، أبـو الفضـل، جمـال الديـن ابـن منظـور الأنصـاري (ت 711هـ)، النـاشر: دار صـادر ، بـيروت، الطبعـة: الثالثـة (1414 هـ).
23. اللغـة العربيـة معناهـا ومبناهـا: تمـام حسـان، عـالم الكتـب، الطبعـة الثالثـة (1418هـ - 1998م).
24. لمسـات بيانيـة في نصـوص مـن التنزيـل: الدكتـور فاضـل صالـح السـامرائي، دار عـمار- الأردن.
25. مجاز القرآن: أبـو عبيـدة معمـر بـن المثنى التيمي البـصري (ت 209هـ)، تحقيـق محمـد فـؤاد سـزگين، النـاشر: مكتبـة الخانجـى ، القاهـرة، سـنة الطبـع (1381 هـ) .
26. معـاني النحـو: الدكتـور فاضـل صالـح السـامرائي، دار إحيـاء الـتراث العـربي، بـيروت- لبنـان، الطبعـة الأولى (1428هـ - 2007م).
27. معجـم مقاييـس اللغـة: أحمـد بـن فـارس بـن زكريـا (ت 395هـ)، تحقيـق: عبـد السـلام محمـد هـارون، النـاشر: دار الفكـر (1399هـ - 1979م).
28. المعجـم الوسـيط: مجمـع اللغـة العربيـة بالقاهـرة، (إبراهيـم مصطفـى وآخـرون)، النـاشر: دار الدعـوة.
29. مفتـاح العلـوم: يوسـف بـن أبي بكـر بـن محمـد بـن عـلي السـكاكي (ت 626هـ)، ضبطـه وكتـب هوامشـه وعلـق عليـه: نعيـم زرزور، النـاشر: دار الكتـب العلميـة، بـيروت - لبنـان الطبعـة الثانيـة (1407هـ - 1987م) .
30. المقتضـب: المـبرد (ت 285هـ)، تحقيـق: محمـد عبـد الخالـق عظيمـة، عـالم الكتـب- بـيروت.
31. مـلاك التأويـل القاطـع بـذوي الإلحـاد والتعطيـل: أحمـد بـن إبراهيـم بـن الزبـير الثقفـي الغرناطـي (ت708هـ)، دار الكتـب العلميـة، بـيروت ، لبنـان .
32. همـع الهوامـع في شرح جمـع الجوامـع: عبـد الرحمـن بن أبي بكـر، جلال الدين السـيوطي(ت911هـ)، تحقيـق: عبـد الحميـد هنـداوي، المكتبـة التوفيقيـة ، مصر .
33. جماليـات الإضـمار في صحيـح القصـص النبـوي- دراسـة سـياقية، مجلـة الدراسـات المسـتدامة/ السـنة الثالثة/ المجلـد الثالـث/ العـدد الثـاني لسـنة (1442هـ - 2021م) .
34. السـياق القـرآني وأثـره في التفسـير: أحمـد ماهـر سـعيد نـصر، جامعـة الازهـر.